أول راجل

سامح هلالي

مجموعة قصصية

أول راجـــل

رقـــم الإيـــداع: 2024 / 1084

نوع المصنف: قصص قصيرة

اسم المؤلف: سامح مجدي أحمد (سامح هلالي)

الجنسية: مصري

الإخراج الفني: حسين علي

سامح هلالي

أول راجـل

مجموعة قصصية

إهـــــداء

أبي الحبيب... أقرؤك السلام

وعلى سبيل المزاح بينك وبيني ذات يوم ، طلبت مني أن أقوم بكتابة قصة حياتك ، وكانت تلك اشادة منك لي فرحت بها وتمنيت لو يأتي بالفعل ذلك اليوم الذي أهديك فيه كتابًا يحمل أي سيرة او ذكرى تخصك

ولكن الله قدر الا يأتي ذلك اليوم قبل رحيلك ،

وقدر الله أن يلهمني فكرة هذا العمل لأستجمع من مواقفك معنا وما تمنيته منك

و أسردها في شكل قصصي ، ولعلها تكون رسالة لمن يقرؤها ويدرك دور الاب الحقيقي في حياة ابنائه وبناته ، ولعل من يقرأ يتخيل ويرى في مخيلته صورتك وسيرتك ويترحم عليك

وهذا اقل شيئا أقدمه لك.

رحمك الله يا أبي

ترحموا عليه

 # مجدي_صادق

(1)

لم يكن مجرد أب.... بل كان وطنا

كنت في انتظار ذلك الخبر أو بمعنى أدق تلك الورقة ...

ورقة الطلاق ، التي أرسلها لي زوجي السابق على يد محضر من المحكمة إلى بيت أبي ، الآن أصبحت مطلقة وفي حضانتي ولد لم يبلغ السابعة من عمره وطفلة لم تكمل عامها الخامس، ثمانية أعوام في عصمة شخص ولن أقول رجلًا ،

لأن الرجولة درجة لا أعتقد أنه في يوم من الأيام سيصل إليها هو ومن على شاكلته،

الرجولة التزام... أن تكون ملتزمًا ومسئولًا عن أسرة وتظل أهل لتلك المسئولية والالتزام دون شكوى ونحيب وتتذكر دائما أنك رجل،

ليس فقط حينما تريد أن تتذكر ذلك لتقول (أنا الراجل)

حتى تحصل على كافة حقوقك دون أي التزام تجاه الآخرين إلا بمزاجك

الرجولة قدوة... أن تتعلم كيف تكون قدوة في كل تصرفاتك وأسلوب حياتك لمن هم يتبعونك وينظرون إليك ويحتذون بك بصفتك وليا لأمرهم

الرجولة عطاء... ألا تكون في حياتك مثل بحر غادر يموج بأمواجه ولا يعطي غير الملح وغدر الأمواج ولا فائدة منه إلا في مظهره من بعيد

الرجولة... هي أبي

أبي الذي كان بالنسبة لي وطنا أهرب إليه

لن أنكر أن محاولاته الجهيدة دائما في الصلح بيني وبين طليقي كانت كثيرة على مدار تلك الأعوام الثمانية المنقضية وذلك كطبيعة أي أب يحاول حتى آخر لحظة المحافظة على بيت ابنته ، وعلى الرغم من أنه كان ذا منصب رفيع وعلى دراية بالقانون إلا أنه كان متعقلا في كل خطوة يتخذها في ذلك الموضوع وهو في كل مرة يقول لي لن أغلق الأبواب بينك

وبينه فمهما كانت عيوبه ومساوئه فهناك حقيقة لا يمكن أن نخفيها أو نتجاهلها...

إنه أبو أولادك

تلك كانت الإجراءات القانونية والإجراءات الفعلية وأما عن سلوكه في تلك الفترة فالحق أقول إنني لم أشعر في حياتي بحمية الأب إلا في تلك الفترة، ربما لأنني لم أمر بأزمة من قبل فلم أجد تلك الدفعة المعنوية منه سابقا ،

ربما ننظر إلى بعض من هم في حياتنا على أنهم غير مؤهلين لشيء ما أو صفة ما

ثم نكتشف العكس... لنكتشف أننا نحن الذين لم تكن رؤيتنا واضحة

أو كنا نتوقع أمورا ربما لو حدثت في غير وقتها...

فلن تكون بنفس روعتها حينما تحدث..... ربما لأننا رأيناها من وجهة نظرنا فقط

و لو تبادلنا الأدوار و رأيناها من وجهة نظر الآخر... لتغيرت قناعاتنا تجاههم

التوقيت يحدث فارقا

التوقيت... حينما عدت إلى بيت أبي في تمام الثالثة فجرًا وأنا على وجهي آثار أصابع يد طليقي حينما صفعني والطفلين غارقين في النوم تاركة كل ما أملك حتى هاتفي المحمول هربا من تلك العلقة الساخنة التي تنتظرني حينما يعود مخمورا ورائحة الحشيش تفوح منه ،

لم أعد احتمل ، في تلك الليلة انزعج أبي ولأول مرة أجد ملامحه تتغير بهذا الشكل الغاضب بعدما حكيت له ما حدث ، قال لي بصوت هادئ لكنه حازم : (كده خلاص اللي فات كله كوم واللي حصل الليلة دي كوم، قومي يا حبيبتي ارتاحي في أوضتك وبكرة الصبح أوعدك أن كل حاجة تتغير)

مجرد ردة فعله و رغم أنه كان ثابتًا و هادئًا ، إلا أننى .. شعرت بالأمان

وفي صباح اليوم التالي وبعد أن تناولنا الفطار، وجدت أبي يتناول هاتفه ليحادث طليقي هاتفيًا ، وبنبرة حادة ...

قائلا: أنا سلمتك أمانة رجعتهالي الساعة تلاته الفجر مضروبة ومطرودة ...

وأنا عارف نجيب حقها إزاي ، أنت كان عندك نعمة

اسمها الأسرة ...

وأنا أوعدك إني لحد آخر يوم في عمري هحاول أحرمك من النعمة ، اللي معرفتش تحافظ عليها

كانت تلك هي المرة الأولى التي أجد فيها أبي ، سعادة السفير، الرجل الدبلوماسي

بهذا الحزم ثم نظر إلى بمنتهى الحنية والرفق

وقال: المرة دي مافيهاش رجوع... خلصت خلاص

ويوم وراء يوم ... كانت الإجراءات القانونية التي يتخذها أبي بشكل مدروس وواضح تساعدني في الحصول على كافة حقوقي ، رفع عن كاهلي كافة الضغوطات ،

تركني لأعود مرة أخرى إلى حياتي المهنية والعملية

في خلال خمسة أعوام من تطليقي

حصلت على الماجستير، ثم حصلت على الدكتوراة، وصلت إلى درجة لم أكن أحلم بها بعد تأخر كبير نفسيًا ومهنيًا

وأما عن أطفالي ... فلا يسعني القول إنني كنت أتمنى أن

يكون هذا الرجل زوجي وليس أبي حتى أنسب هذين الطفلين إليه ، كان هو الجد والأب والعم والخال وكل شيء لهم ...

فلم يشعر اي منهما أبدًا أبدًا بإحتياجه إلى أبيهم الذي إستكمل حياته على نفس المنوال مابين الفشل والمخدرات التى أفشلت كل شيء ،

كان أبي بالنسبة لهم كما كان بالنسبة لي

لم يكن فقط أب ... بل كان وطن .

(2)
الطير المهاجر
أربعون عاما... في الغربة

ربما كان ذلك هو أنسب عنوان لملخص الحياة التى قضاها أبي في مجمل حياته، هذا إذا افترضنا أن الحياة في الغربة تعتبر حياة بالاساس، ولك أن تتخيل عزيزي القاريء كيف تكون حياة المغترب سواء كان عازب أم رب أسرة، مجرد أيام تمضي و عداد العمر لا يتوقف.

إنقضى من عمر أبي أربعين عامًا في الاغتراب بحثًا عن لقمة العيش وعن مستوى مادي لأسرته يختلف تمامًا عن ذلك المستوى الفقير الصعب الذى عاشه هو، كانت تضحية منذ أول يوم قرر أن يغترب فيه ويرتحل إلى بلد أخرى ليعمل هناك بعيدًا عن أهله وعن وطنه، سنوات تلو السنوات، تزوج وأنجب إبن وإبنة ثم إبن أخر ثم بنت أخرى والتى هي انا.

اللقاء السنوي فقط شهر واحد كل عام، ثلاثين يومًا يقضيهم بيننا كالضيف، يحاول أن يشبع شوقه من الكل بعينيه وباستماعه لنا وبتلبية كافة الطلبات لنا، كل شيء مجاب وكل النقاشات لصالحنا وهو كان فرحًا بذلك وفي أثناء السفر، كان لا يمر يوم إلا ويتصل بنا ليطمئن علينا فرد فرد، وحينما انتشرت وسائل التواصل الاجتماعي كان هناك إتصال وسؤال بكل فرد على حدى ، كبرنا وتزوج البعض منا وانشغل بحياته وبأسرته وهو ما زال غريبًا، إلى ان قرر العودة نهائيًا بعد بلوغ الستين.

الآن... تواجد الأب في البيت، بعد كل تلك السنوات، كنت قد تجاوزت العشرين من عمري ولم يبق في البيت غيري وهذا ما اتاح الفرصة لي للحديث معه واستكشاف ما بداخله... أريد أن أعرف أكثر وأكثر عن أبي ورغم أني كنت مخطوبة وجارى التجهيز للزواج في غضون شهورًا قليلة وطبعًا كل الترتيبات منذ البداية كانت بواسطة أمي التى قادت سفينة البيت في غياب أبي طوال تلك السنوات وقادتها بنجاح لتكمل صورة الأسرة الناجحة التى لا يغيب رب أسرتها... مهما كان بعيدًا

الا انني شعرت انني في كامل الاحتياج لاستكشاف هذا الرجل العائد من فترة غياب طويلة الامد، ربما كان شخص

لا يعايش ولهذا السبب كان القرار بالابتعاد كل تلك الفترة رغم الفرص التى واتته للعودة الى الوطن والبقاء مع أسرته ، وربما كان السبب انه انطوائيًا ولا يجيد التعايش وسط أسرة أو وسط الناس لذلك فضل العزلة في بلاد الغربة.

أشياء كثيرة كانت تدور في رأسي، ولكنني كان علي إختيار الطريقة التى ساستخرج بها... أسرار غربة أبي ، ومع مرور الأيام ، وكثرة الحكايات والجلسات، اكتشفت أن كل تلك السنوات وكل ذلك العمر الذي قضاه مغترب... كان اختيار اجباري.

كان جدي فقيرًا... ماتت جدتي بالمرض ولم يستطبع أو يستطيع أحد علاجها نظرًا لفقرهم الشديد ، تربي أبي وعمتي وعمي الصغير مع جدي المزارع البسيط، ذاقوا مرارة الفقر، وظل أبي يعمل أثناء دراسته، إلى أن استطاع الحصول على الثانوية العامة وعمل بها في أماكن عديدة إلى أن استطاع أن يدبر بعض المال الذي يعنيه على السفر إلى العراق وهو مايزال إبن العشرين من عمره، سافر إلى العراق، وساهم مع أبيه في التكفل بمصاريف تعليم أخيه وأخته بل وتزويجها أيضًا ثم علاج أبيه إلى أن توفاه اللّه ثم تزوج وأنجب... وفي كل فترة تزداد المسئوليات فيخشى العودة حتى لا ينقلب الحال، كان ما يعنيه ويهمه ان الأولاد بخير وهو غير مهتم بلقب و صفة و

حياة الطير المهاجر

تمر السنوات تلو السنوات الى ان حدثت حرب الخليج الثانية ، فقرر شد الرحال من العراق الى السعودية ليستكمل مسيرة لقمة العيش هناك ، ومرت السنوات تلو السنوات ونحن نكبر وهو يكبر ولكنه لم يكن يبالي

كان كل مايشغله هو ألا يرى احد منا ذرة من الشقاء والفقر الذى عاناه هو ، كان حلما له ان نظل حوله في السكن وفي البيت وفي كل الاحوال ، حتى حينما قرر احد اخوتي الرجال السفر للبحث عن فرصة عمل... كانت صدمة بالنسبة لأبي الذي قرر اعطاؤه مبلغا كبيرا من المال ليظل اخي في مصر ولا يخرج بعيدا عنه

لم نكن نعلم انه مريضا بمرض مزمن ، ولم يكن يخبرنا بأي أزمات صحية يمر بها او ما شابه... الى أن تطورت حالته في الفترة الاخيرة واصبح يستحق الرعاية ، وربما الرعاية الدورية وبصفة مستمرة

هنا... قررت امي ان نتجمع يوميا في الدور الاول حيث يمكثون والا نتفرق الا عند النوم او عند الذهاب الى العمل واما ما دون ذلك... فالكل في خدمة ابي

كانت حازمة حينما قالت لاخواني وزوجاتهم ولاختي وزوجها ولي ايضا :

ابوكم، ضيع عمره عليكم، ومكانش بيقول ابدا انه محتاج لحد،النهاردة هو في اشد الحاجة لانه يشوفكو حواليه،سيبوا كل حاجة في حياتكو وخليكو جنبه وعلفكرة مش كتير عليه... لو حسبتوها هتلاقوه هو ضحى بسنين عمره ... علشان خاطركم .

(3)

السند
(البارالمبية)

ربما كان في الأمر خيرا ونحن لا نعلم

كانت دائما هي كلماته لي، كلماته ودعمه وعطاءه الذي أوصلني إلى أن أصبح بطلا أوليمبيا في رياضة رفع الأثقال ولكن لذوي الهمم

كنت ملاكما... وهو لم يكن يهوى أي نوع من أنواع الرياضة، كان لا يجيد في حياته إلا مهنة الهندسة والتفكير في الماكينات وأعطالها وتصليحها، كان عبقريًا وجنى من وراء ذلك مبالغ ضخمة ولكن كانت هناك فجوة بينه وبيني في المشاركة في كثير من الأمور، دعوته أكثر من مرة للحضور معي إلى التدريبات ومشاهدتي وتشجيعي ولكنه كان يرد بسخرية قائلا: يا عم أنا مستفاد إيه لما أجي أتفرج على اتنين قالعين ملط وبيطحنوا في بعض؟؟؟

إلى أن حدثت لي حادثة اضطررت على أثرها إلى التحرك على كرسي متحرك

الحياة اختلفت... كنت أستعد لبطولة الجمهورية والآن سوف أشاهدها وأنا... مقعد ، ساءت حالتى النفسية... رفضت استكمال العلاج وحتى الاكل وكل شيء بالنسبة لي اصبح لاشيء ولم اجده في تلك الاثناء وفي تلك الفترة الصعبة معي نظرا لسفره الى المانيا للتعاقد على بعض الماكينات الجديدة للمصنع الذي كان يديره، اخبرتني امي انها تحادثت معه عن الحالة التى وصلت اليها وانه قرر قطع سفره والعودة سريعا

عاد... ولكنه لم يعد وحده، عاد ومعه مدرب رفع اثقال وطبيب تغذية وطبيب علاج طبيعي... فريق عمل كامل مدرب ومكلف بالاهتمام بي وكان ابي متكفلا ماديا بكل شيء وليس لديه ادني مشكلة في التضحية بما اكتسبه من مال نتيجة عمل وخبرة سنوات في مجال الهندسة الميكانيكية ،وجدت شخصا اخر غير ابي الذي لم يكن يهتم اصلا بالرياضة، كانت فرحتي به وهو يرتدي الزي الرياضي الخاص بحمل الاثقال ويبدا معي التدريب في غرفة خاصة بالمسكن قام بتجهيزها ايضا خصيصا لي ،لم يكن يتكلم كثيرا بالدعم والتشجيع... ولكنه كان يفعل ما يجعلني في عنان السماء داخليا

خطوات ايجابية وعملية كان يتخذها لتحسين الوضع النفسي والرياضي لي وهو مشارك ليس فقط مخططا ولا مشاهدا ، تغير كل شيء في محيط الاسرة، واصبح الهدف الرئيسي هو اعداد بطلا بارالمبيا بعد ان كنت أحلم وحدي بأن اكون بطلا اولمبيا

ساعدني ابي في الوصول الى اعلى درجات التجهيز والتدريب والاستعداد النفسي والذهني حتى وصلت الى الميدالية الذهبية للالعاب الاولمبية في رياضة رفع الاثقال لذوي الهمم، شاهدته يطير من مكانه فرح كالاطفال وهو في الخامسة والخمسين من عمره باكيا من شدة الفرحة

ربما قسوت عليك يوما يا سيدي حينما ظننت انك غير داعم لي ،

ولكن معادن الرجال تظهر ..... وفي وقت الشدة...

كنت انت يا أبي

السـنـد

(4)
العــواد

قرأت إعلانا في إحدى صفحات السوشيال ميديا عن دورة تدريبية لتعليم العزف على العود ، والحقيقة أنني لم أكن مهتما بالعزف على أية آلة موسيقية ، أنا فقط أهوى سماع الموسيقى ولكنني شعرت برغبة قوية في خوض تلك التجربة، طلبت من أمي إقراضي ثمن تلك الدورة التدريبية ولكنها أسمعتني من (الموسيقى الامهاتية) ما جعلني اصرف النظر خاصة وأنني طالب في الثانوية العامة والامتحانات على وشك البدء وقولت لنفسي قبل أن تقولها هي :

(لم الموضوع قبل ما يكبر واسكت أحسن)

والعجيب أن في صبيحة اليوم التالي وجدت أبي يقابلني بابتسامة تنم عن شيء ما وبينما نحن نجلس بمفردنا وجدته

يهمس لي قائلا: هو أنت صحيح عايز تاخد كورس عزف ع العود؟؟ اصل امك امبارح سمعتني كلمتين بسببك وقالتلي: (البيه ابنك فاضي اوي وعايز ياخد كورس عود قبل امتحانات الثانوية بشهر) فاخبرته بحقيقة الامر، فضحك وقال لا عليك سأتولى انا تكلفة ذلك الامر ولكن بعد الامتحانات .

وهنا وجدت ابي و لأول مرة في حالة نشوة لم اراه عليها من قبل ، بل و لمعت عينيه حينما اجبته بأنني أميل الى تعلم عزف العود... أيضا لم أرها من قبل وظننت أنه قد فرح لان ابنه ربما لديه موهبة أو اهتمام غير مسبوق ولكن الحقيقة لم تكن كذلك

الحقيقة التي عرفتها حينما كنت أتواصل مع أبي لأمر ما و اردت منه مصاريف الدرس الخصوصي قبل الامتحان فطلب مني أن أمر عليه في مكتب المحامي الذي يعمل معه ليلا وهو أيضا صديق العمر لأبي وبالفعل مررت عليه وقابلت صديقه المحامي الكبير ، وانتظرت حتى يأتي أبي من مقابلة خارجية مع أحد العملاء وفي أثناء حديثي مع صديق أبي سألني عن طموحاتي ومستقبلي ثم سألني عن شيء كسر جمود جلسة الكبار التي لم أكن أطيقها

وقال لي : و انت بتحب المزيكا زي ابوك ؟

وهنا انتبهت له وقلت : نعم ، وبدأت أستفسر منه عن ابي ،

فقال لي : ابوك ده صاحبي من اكتر من خمسة وعشرين سنة ، وكان عواد قدييييم ...

العود في أيده كان بيغني ... بس للأسف مكملش في السكة دي لان جدك في مرة عرف أنه بيعمل قعدات عود ومزيكا فقام طب عليه في قعدة من دول ودشدش العود على دماغه من ساعتها و ابوك بطل يعزف عود

حضر أبي... وأعطاني ما كنت أحتاجه من النقود وانصرفت وأنا في مخيلتي أن أبي لم يذكر لنا أي شيء عن تلك الهواية القديمة التي حرم منها

مرت الأيام وانتهت الامتحانات وظهرت النتيجة ونجحت وبتفوق و وفى أبي بوعده وأعطاني قيمة الدورة التدريبية لتعليم العزف على العود وكنت قد جمعت مبلغا من (نقوط) نجاحي وأصبح لدي مبلغ من المال، ولكنني لم أعد اهتم بتلك الدورة ولا بغيرها، ذهبت إلى شارع محمد على وسألت عن سعر العود واستكملت الباقي من جيبي الخاص واشتريت عودا وذهبت فورا إلى أبي في مكتب المحاماة وما أن دخلت إلى مكتبه وكان منهمكا في قراءة الأوراق وترتيبها ووجدني

وفي يدي العود حتى أبتسم ثم اقتربت منه وقلت له : أنت اللي تعلمني اعزف يا بابا ، انت اللى هتديني الكورس ، العود ده بدال العود بتاع زمان اللي جدي كسره

وهنا... ولأول مرة... اعرف المعنى الحقيقي لدموع الفرحة

عاد أبي إلى ذلك الشاب في سن الثامنة عشرة من عمره حينما انتهت علاقته بالعود نهائيا بعد تلك العلقة التي تلقاها من جدي

قائلا: جدك مكسرش العود بس... جدك دغدغ العود على دماغي وعلى دماغ صحابي

ثم ابتسم واحتضنني بطريقة لم تحدث من قبل

اليوم وبعد غياب جبري استمر لسنوات و سنوات ... عاد مرة أخرى إلى شغفه الذى دفنه في داخله طوال تلك السنوات الماضية منهمكا ولاهثا وراء مسئولياته والتزاماته الحياتية ،

وما أحلاها تلك العودة التي يكتشف فيها الإنسان... نفسه

عاد أبي... إلى العود...

عاد... العواد

(5)
حفار القبور

ابني الحبيب... أقرؤك السلام

ربما لم أكن لك في يوم من الأيام من وجهة نظرك ، ذلك الأب الذي تفتخر به ، وكيف تفخر يا ولدي بأنك ابن حفار القبور، كيف تفخر وأنت الآن طبيب ولك اسمك وثقلك ومعارفك برجل عاش عمره ما بين القبور رافضا الخروج إلى العالم الخارجي هاربا بك وبأخيك بعيدا عن رائحة الموت وسيرته ومعالمه، كيف لك أن تقبل العودة إلى ذلك الرجل الذي حكم عليك وعلى أمك بالبقاء... وسط تراب الأموات، عذرا يا ولدي على تلك الخطيئة التي أخطأتها في حقك منذ عشرات السنوات ولكنني لم أكن لامتلك رفاهية اختيار التغيير

ربما اخترت الحياة وسط الموت، وربما نجحت امك في تغيير نمط الحياة مابين الاموات الى الحياة بين الاحياء، ولقد كنت راضيا بما حدث وراضيا بالفراق والبعد، ولعل في ذلك خيرا لكم

منذ سنوات وفي اخر زيارة لي انت واخيك كررت على السؤال الذي سألتني اياه منذ ان كان عمرك عشر سنوات... لماذا لا أترك تلك المهنة وذلك المكان وابحث عن مكان اخر والحقيقة يا ولدي انني لم استطع الاجابة خوفا عليك وعلى اخيك، ولكن الآن... و في ظل انني اشعر بقرب نهاية المشوار، سأخبرك بما كنت اخفيه عنك طوال تلك الفترة، قبل السنوات بسنوات كنت شابا في الحادية والعشرين من عمري وكنت طالبا بكلية الطب وكان لي اخًا غير ملتزم بأي شيء، تورط اخي في قضية قتل وهرب وكما هو معروف في الصعيد في تلك الفترة انه لا بد لأهل القتيل من الاخذ بالثأر، ولكن القاتل فر هاربا خارج البلاد ولم يستدل على مكانه ، فما كان امام اهل القتيل الا انا... ف فررت هاربا... مذعورا غير قادر على مواجهة شبح الموت الذي يطاردني... تركت دراستي وهربت من بلد الى بلد حتى أستقر بي الحال بين الاموات... هربا من شبح الموت، تزوجت وانجبت وانا اشعر بين الاموات بالامان... من الموت

الى ان قررت امك كسر ذلك الجمود والخروج بكم من بين القبور الى الحياة وكنت راضيا طالما انكم بخير، الآن وقد انقضى العمر يا ولدي، اعتذر لك عن تلك الغلطة التى لم اكن اقصدها وارجو منك الا تخجل من ذكر سيرتي وسط اقرانك... فبعدما تقرأ خطابي هذا وتجد صورة كارنيه الجامعة الخاص بي... تستطيع ان تقول وبكل فخر انك طبيب... ابن طبيب

ولست أبن... حفار القبور

انتهت

(6)

صاحبي يا صاحبي
ولعلك يا صاحبي تدرك في يوم من الأيام...
إنها سحابة صيف وستزول

كنت قد اتفقت أنا وزوجتي على الانفصال وذلك بعد سنوات من الخلافات والمشاكل والأزمات وعدم التفاهم في أبسط الأمور فيما بيننا ، وكنا نحاول تسيير المركب كما يقولون وعدم إظهار أي شيء لمن حولنا خاصة العائلة ، لأننا وبحكم صلة القرابة... من نفس العيلة

أي ما يعني الكثير من النقاشات والجدال والصوت العالي وربما القطيعة بين بعض الأفراد وبعضهم البعض وبعد فضفضة مع أحد أقرب الأصدقاء العقلاء وهو مالم يحدث بالنسبة لي أن أقوم بالحديث عن مشكلات بيتي لأي من الأصدقاء واعتبر سر البيت مثل سر الوطن لا يكشف مهما كان الأمر... لم

يكن لصديقي رأي غير أنني لا بد وأن أصارح أبي بكل شيء

كان الحل أن اتجه وعلي مضض إلى أبي لأخبره أننا وصلنا إلى طريق مسدود، وهذا أصعب ما في الأمر، أصعب خطوة في رحلة الطلاق هي المناقشة التي ستدور بيني وبين أبي خاصة وأن زوجتي... ابنة أخيه ،استجمعت كل حالات البرود والهدوء والثبات الانفعالي وقررت أن أتناقش معه في هذا الأمر ، وما أثار استغرابي أنه كان هادئا ومبتسما وهو يستمع إلى ثم ما ان انتهيت من كلامي حتى نظر إلى بابتسامة بشوشة وقال: طالما هذا قراركما فسوف ننفذه ولا يمكن أن نجبركما على الحياة سويا دون تفاهم ، البيت يا ولدي اما جنة ينعم فيها الإنسان وإما نار تكويه ما بقي حيا فيه ، أبلغ زوجتك أنني سأقوم بالتفاهم مع أخي والوصول إلى القرار الذي يرضيكم، عد إلى بيتك والتزم الصمت مع زوجتك مهما كان تصرفها وحاول ألا تضع نفسك في ورطة بسبب تصرف أو رد فعل ، ولا تنسى يا ولدي أن لك أخوات بنات والعدل يقول بأننا يجب أن نعامل بنات الناس كما نحب أن يعامل الآخرون بناتنا

كنت مذهولا... ولاول مرة اخرج من امام ابي وانا اشعر بان هناك شيء ما غامضا في كلامه وانني متحير في امره وفي هدوئه وقراره في ذلك، وحتى زوجتي كانت مذهولة حينما

نقلت اليها الحديث الذي دار بيني وبين ابي وتعجبت من الهدوء الذي كنت انا فيه و وصلنا سويا الى مرحلة الصبر على ما سيقوله الكبار

في اليوم التالي... اتصل عمي بزوجتي وقال لها امكثي في بيتك ولا تخرجي مهما حدث هذا بيتك وهذا حقك وانا اتفاوض انا وعمك على كافة حقوقك وسنصل الى ما يرضيكي ويرضى زوجك، هنا شعرت زوجتي ان الامر اصبح جديا... وان الكبار قد اتخذا القرار وما هي الا ايام وسيتم الانتهاء من كل شيء، كانت زوجتي هادئة ومتعجبة من حالة هدوء الكبار وعدم الخوض في اي نقاش او جدال بخصوص الامر والامر الاعجب ان لا والدتها ولا اختها ولا امي ولا اخواتي البنات... ولا اي احد... نطق بكلمة

بعدها بساعات... اتصل بي ابي واخبرني انه يريد استضافتي في بيت العائلة منفردا حتى لا تتفاقم الخلافات ويتصاعد التوتر واخبرته انني لا اريد اي فترة للتفكير فلقد اتخذنا قرارنا قال لا داعي لذكر ذلك انا اعرف انك لا تريد الاستمرار معها ولكنني اريد منك ان تهيء نفسك للوضع القادم لانك ستمكث معي انا وامك خاصة واننا نجلس بمفردنا وفي احتياج الى من يبقى بجوارنا ، اخبرت زوجتي بما قاله ابي... وانني سأغادر المنزل وما زال كلا

منا في حالة ذهول مما يحدث، فلقد فاق رد الفعل توقعاتنا وتحليلاتنا للأمور ، انتقلت الى الى شقة ابي وامي ومكثت فيها ما يقرب من اسبوع كامل لم يناقشني احد في اي شيء ولم احاول ولو من بعيد ولا من قريب التواصل مع زوجتي وذلك بناء على وصية ابي الذي كان في تلك الفترة وكما لم أعهده في حياتي... صاحبي ، يوقظني من نومي لاذهب الى عملي وينتظرني بعد العودة ثم ننزل سويا على القهوة مع اصدقاءه والحقيقة ان تلك الجلسات التي كانت مع رفقاء ابي كانت مختلفة واعادت الى نفسي الهدوء خاصة وان هؤلاء الاصدقاء كانوا في مرحلة متقدمة من العمر، كانت فترة اشبه بما يسمونها حاليا (فصلان)، وكان ابي ذكيا في متابعته لي في تصرفاتي ومتابعاتي لزوجتي عبر حسابات السوشيال ميديا في صمت

وذات مرة، اخبرته انني لا اجد اي تفاعل منها على اي شيء ولا ظهور لها ابدا على اي وسيلة تواصل اجتماعي فرد علي بهدوء وبينما نحن نلعب الطاولة سويا... ان عمي يمكث معها بالشقة ولم يترك لها الفرصة التى تجعلها تنفرد بنفسها وبالسوشيال ميديا حتى لا تلوث او تؤثر على تفكيرها ، انتبهت الى ما يقوله وقلت له اذن هو اتفاق بينكما على ان ترافقاننا بعيدا عن بعضنا البعض قال : نعم... انتم في حاجة

الى احتواء بعيدا عن بعضكما البعض

سأقول لك شيئا يا صاحبي، الحياة مليئة بالمشاكل والازمات ولو تركنا انفسنا لاتخاذ القرارات التى تنشأ تحت وطأة الانفعال والعصبية، لا تنظر يا صديقي الى زوجتك على انها لا شيئ فيها سوى العيوب والمشاكل وافتعال الازمات والشكوى... ثم انك يا ولدي الى الان لم يرزقكم الله بطفل يؤنس وحدتكما ويملئ حياتكما، انت الان يا ولدي لست فقط زوجها بل ايضا ابنها وهي في مثابة ابنتك... تعامل معها بمنطق الاب... الاب يحنو ويعطف ويعذر ويغفر ويقوم ويعلم... والام... ترفق وتحتوي وتحتضن.

عد الى بيتك يا صديقي... عد الى زوجتك فهي مستقرك ومستودعك

لكل انسان في هذه الحياة ازمة وبعد الازمة انفراجة، لا شيء يستمر يا صديقي الى الابد و لابد من الموجات الحياتية التى تبين لنا الناس والمواقف وتكشف لنا مدى ثقل شخصياتنا وما نحتاج اليه... الكمال صفة من صفات الله وحدة... ولكل منا... مثلما يقولون بالبلدي (وقعة)... ليس عيب ان نسقط... لكننا ينبغي ان نقف بعد السقوط ونكمل مسيرة حياتنا متجاوزين ما حدث ومدركين الاسباب التى جعلتنا نسقط ،

ولعلك يا صاحبي تدرك في يوم من الايام...

ان كل ازمة تمر بها ما هي الا

سحابة صيف وتزول

الان...

وبعد مرور سنوات على تلك الجلسة... اجلس مع ابي على نفس القهوة واستمع منه الى نصائح وارشادات وخبرات حياتية انا وابني ذو الخمسة عشرة أعوام وكأنها جلسة صحاب... وأبي ينصح ابني كما لو أنه صديق له للدرجة التى جعلت أبني وبطريقة الجيل الجديد كلما يلتقي أبي و يسلم عليه يناديه بـــ ...

صاحبي يا صاحبي

(7)

وسلاما على الراحلين بأجسادهم ... الحاضرين برسائلهم

زارني ... و كانت زيارة خاطفة وسريعة كان أنيقا كعادته ، مبتسما ، ذو وجه بشوش و كنت أمر بضائقة مالية وبعض الخلافات في محيط عملي وربما كنت على وشك ترك العمل نهائيا ، ولكنه وبمنتهى البساطة قال لي إن الأزمة في طريقها إلى الحل فهو سيساعدني على تجاوز تلك المرحلة الصعبة سواء نفسيا أو ماديا ، المهم ألا استسلم أبدا لأي ظروف وضغوط تؤثر سلبا على صحتي ، في تلك الليلة كان يربت على كتفي مبتسما ومطمئنا لي أن كل شيء سيكون على ما يرام وكنت هادئا جدا أثناء حديثي معه وتواعدنا سويا على أن نلتقي معا إلى مكان ما...

ولكنني ذهبت ولم اجده ....

لم يكن هو من زارني .... بل كان طيفه يبتسم لي من

بعيد لكي أطمأن

وبالفعل... مرت الازمة بسلام

لقد كان حلما... حلما اراه كلما تأزمت بي المواقف وصعبت على الايام ، طيفا يزورني في منامي مبتسما بشوشا ليهون علي ما اصابني ربما لم يكن ذلك ليحدث في الحقيقة ،

ولكنها حقيقة تحدث لي حينما تضيق بي الامور

يزورني طيف أبي الراحل في منامي ... بدافع من الامان والطمأنينة

فتزول بعدها الضائقة... وتهون الامور

وأعود بيني وبين نفسي... طفلا تجاوز كل مشكلة واجهته محتميا... بأبيه .

(8)

شقاوة قديمة

كنت في الثامنة عشرة من العمر، طالبا في احدى معاهد علوم الكمبيوتر بالقاهرة تخصص برمجة وشبكات، وفي ذلك الوقت لم اكن غاويا للدراسة وكنت أبحث عن أي وسيلة او فرصة عمل استطيع من خلالها الحصول على المال وبشكل سريع ودون تعب، وفي الغالب ان كل من يمرون بتلك المرحلة يفكرون بنفس الطريقة في ظل التطور والتسارع الرهيب لوسائل التواصل الاجتماعي، بحثت في اكثر من طريق وفي اكثرمن وسيلة ولم اجد وسيلة تكسبني الكثير في وقت قليل وبمجهود... بسيط

ورغم المناقشات والمحاورات التى كانت تدور بيني وبين ابي خريج الجامعات الاجنبية والذي كان مقتنعا تماما انني لست على صواب لأنني أبحث عن المكسب السريع والعبرة ليست بالمكسب السريع قدر ما هي بالاستمرارية وحاول كثيرا ان

يساعدني عن طريق المساهمة في قيمة الدورات التدريبية التى تخص مجالي الدراسي ولكنني كنت أرفض ذلك

إلى أن قابلت احد زملاء الدراسة بالثانوية العامة وقد تغير حاله بشكل ملحوظ من ناحية الملابس ونوع الهاتف المحمول وايضا طريقة الكلام ، وجلسنا سويًا في مقهى في وسط البلد نتحدث كثيرًا الى ان تحدث معي عن مجال عمله وانه اصبح يكسب الكثير من الاموال في وقت قليل وبمجهود بسيط ، وعرض على ان اتبعه في ذلك والحقيقة انني تحمست للامر ، وقررت المغامرة والدخول معه في صفقة والاشتراك معه في ذلك العمل وكان لدي بعض من المال قمت على الفور بالتشارك معه وبدأنا سويا في العمل بما يسمى بالتسويق الشبكي ، نجلب بعض المنتجات ونقوم بتسويقها وعمل شبكات من المساهمين والمشاركين شريطة ان يشاركونا ببعض الاموال مقابل بعض المنتجات يتم بيعها للبعض الآخر وادراج المشتركين بشكل تسلسلي حسب من قام بجلبهم على ان يتم توزيع الارباح او الاموال طبقا لنسبة مساهمة الافراد في جلب مشتركين جدد ، وطبعا وبما اننا في عمر واحد فلقد كان اغلبية المشتركين من اصدقائي وهم من كنت بالنسبة لهم الشريك الرئيسي ، مرت الايام والشهور وفجأة ، اختفى زميل الثانوية صاحب الفكرة واختفت كل صلة لها علاقة بتلك الشبكة وتلك

التجارة واصبحت انا كما يقولون (في وش المدفع) ،هنا لجأت الى ابي وصارحته بالامر والعجيب انه كان هادئا في استماعه الى وهادئا في تفكيره معي وقال لي : انت الآن في ورطة فالناس الذين ائتمنوك على مالهم لن يجدوا امامهم الا انت ومهما حاولنا السداد فلن نستطيع، والحل اذن هو الوصول الى رأس الافعى الذي اقنعك بتلك الفكرة، اخبرني ابي انني علي الانتظار الى الغد حتى يدبر ما سنفعله سويا، وبالفعل وفي اليوم التالي كان ابي قد قرر ان نغادر شقتنا في المعادي ونذهب الى شاليه الساحل الشمالي وبصحبتنا ابن عمي مهندس الشبكات او (عبقرينو) كما كانوا يلقبونه، وضع ابي خطة تقتضي ان نبحث سويا انا وعبقرينو في كافة المراسلات الالكترونية وكافة الحسابات على السوشيال ميديا محاولين اختراق حساب رأس الافعى للوصول اليه، وبالفعل تعلمت الكثير والكثيرمن عبقرينو وكانها كانت فرصة لأ تعرف على المجال الذي كان ابي دائما ينصحني بالتوجه اليه... انه مجال دراستي ، توصلنا الى رأس الافعى... وعرفنا عنوانه ، ولم يستغرق الامر سوى ست ساعات، حتى كان ابي وبعض من اصدقائه عائدين من القاهرة وبصحبتهم كل الاموال التى تحصل عليها هذا الشخص وبصحبتهم الشخص نفسه وهواتفه النقالة والكمبيوتر المحمول الخاص به، وقضينا الليلة بالكامل وابي مستمر في الحصول على

المعلومات الخاصة بالضحايا وكل ضحية نصيبها من تلك الثروة وبمجرد الانتهاء، قام ابي بتسليم ذلك الشخص الى الامن ، وطلب من مندوب الامن ان يظل معه حتى يتم تسليم المتعلقات والاموال الى اصحابها بعد تعدد بلاغات النصب

اخرجني ابي من دائرة الاتهام مستخدما ذكائه ومعارفه، واعطاني درسا مجانيا في الاستفادة من مجالي والعمل به، وفي خضم تلك الازمة لم يفقد ثباته وهدوءه وهو درس اخر تعلمته منه، ابي الذي لم اقتنع بكلامه كثيرا ظنا مني انني وكما الشأن لاقراني في تلك المرحلة (عارف كل حاجة) واكتشفت انني لا أعرف اي شيء

وفي طريق عودتنا سويا مازحته قائلا: انما ايه يا هندسة الصياعة دي كلها

فنظر الي بضحكة الواثق من نفسه قائلا : عيب ياد... دا انا شقاوة قديمة

(9)
ليلة رمضان

منذ ما يقرب من العشرين عام ، ونحن نتبع نفس النهج في نفس الليلة من كل عام الليلة الأخيرة في شهر شعبان أو ما يسمى بـ ليلة رمضان ، في نفس الحارة الضيقة وبمرور السنين واختلاف الأجيال والأطفال وحتى الكبار، تلك الليلة تجد الحارة مزدحمة بالعديد من الأطفال والشباب يقفون في الحارة، الكل يؤدي دوره، ما بين من يصنع زينة رمضان وما بين من يقوم بتجهيز الأنوار والمصابيح والفانوس الكبير الذي سيتم تعليقه في سماء الحارة، كل ذلك يتم ما بين التاسعة مساءً إلى الواحدة صباحا قبل موعد السحور، الأجواء الرمضانية التي اعتدنا عليها في مصر، كل هؤلاء الناس يتبعون تعليمات وتوجيهات رجل واحد... عم رمضان

أبي... الذي كان يستغل تلك المناسبة دوما للتقريب بين أهل الحارة وبعضهم البعض ، فلان يخاصم فلانا فيصالحهما على بعضهما البعض ، فلان لديه طلب أو مظلمة لدى فلان

... تنتهي وندخل إلى رمضان ، متفقين متحابين ، حتى الدورة الرمضانية للحارة كما كانوا يطلقون عليها... كان يهتم بكل تفاصيلها ، وربما يتشارك البعض في وقت المباريات .

ليلة رمضان... الكل كان ينتظر تلك الليلة ويفرغ نفسه من كافة الأشغال ، ليتشارك مع عم رمضان في تجهيز الحارة لرمضان

عشرون عاما ، قضيناها على هذا الحال... إلا الليلة... الليلة هي ليلة رمضان

ولكنها للأسف ، بلا عم رمضان ، توفى أبي صباح آخر يوم في شهر شعبان

وأقيمت جنازته بعد صلاة الجمعة ، والعزاء ليلا في الحارة... أهل الحارة أضاءوا الحارة كافة لتلقى العزاء في أبي ، الكل ساهم في ترتيب وتنظيف الحارة وكأنما أبي في وسطهم يشرف ويجهز، كل شيء جاهز ولا ينقص إلا شيئا واحدا... وجوده بيننا

الكل كان يعمل في تلك الليلة متجهم الوجه باكي العينين وتغير مصطلح ليلة رمضان...

إلى ليلة عم رمضان كما يطلق على عزاء أي متوفى (ليلة فلان)...

وانتهى العزاء... وتم فك الشادر... وأطفأت أنوار الحارة... وانصرف الناس...

غدا رمضان... ولكن لا احد يشعر بذلك

فلقد انتهت... ليلة رمضان.

(10)

بطل الغلابة

كنت في الثانية عشرة من عمري... وكنا نسكن إحدى المناطق الشعبية وما أدراك ما المناطق الشعبية في منتصف التسعينيات في تلك الفترة كانت بداية مقولة (اللي عايز حاجة يعملها) طالما أنك بعيد عن أعين رجال الداخلية من أراد البناء مخالفا يبني وعليه أن يتصالح فيما بعد و من أراد افتراش الشارع وبيع أي شيء حتى يصبح أمرا واقعا ويتعود الناس عليه لا مانع و من أراد قيادة سيارة أو ميكروباص والسير مخالفا ودون رخصة وفعل ما يحلو له في الشارع... فلا مانع

كذلك البلطجة...احتفظ في جيبك بسلاح أبيض واستوقف من شئت وهدده بذلك السلاح... واستحوذ على كل ما في جيبه وما يملكه... واصفعه على وجهه (قلمين) حتى لا يتجرأ مرة أخرى بالمرور من المكان أو حتى ذكر الموقف وان حاولت الرد عن نفسك فلربما تخرج

(مغزوزًا) - أن خرجت أصلا -

هذا بالتفصيل ما حدث معي في منطقة مجاورة للمنطقة التي نسكن فيها ، كانت الساعة ما يقرب من الحادية عشرة مساءً، حدث ما حدث وعدت الى البيت مضروبا على وجهي للدرجة التى جعلت امي تصرخ حينما رأت اثار اصابع ذلك البلطجي على وجهي و وجدت ابي يحتضنني ويقول لي (ولا يهمك الفلوس بتروح وتيجيي واحنا اللى بنعملها وانت دافعت عن نفسك بس هم كانوا اكتر والكترة تغلب الشجاعة... متقلقش حقك هيجيلك)

في صباح اليوم التالي قرر ابي عدم ذهابي الى المدرسة وهو ايضا لم يذهب الى العمل... تناولنا الافطار وخرج ابي مصطحبني معه في خروجة خاصة بيني وبينه وما كنت أعلم السبب في ذلك ، ولكن بعدما كبرت علمت انها كانت ترويحا عني وفي طريق عودتنا الى المنزل قام ابي بتغيير الطريق ليمر من المنطقة التي حدثت بها تلك الواقعة ، وقال لي لا تقلق فقط حينما ترى الشخص اياه... اخبرني عنه... وبالفعل كان نفس الشخص يقف في نفس المكان في وضح النهار حامل في يده (المطواة قرن الغزال) ويتلاعب بها وكانها لعبة في يد طفل نظر ابي الي وقال اي ما كان ما سيحدث... كل ما عليك ان تحاول الوصول اليه وان ترد له (القلمين) مثلما حدث معك

امس ، كنت خائفا على ابي فأنا لم أعهده ابدا في خناقات ومشاجرات الشوارع ولم أعهده صوته عاليا الا في المنزل لتربيتنا فقط وتقويمنا... وجدت ابي يتوجه نحو ذلك الشخص محادثا اياه وفي غضون ثوان قليلة كان هذا الشخص مطروحا على الارض وابي فوقه يكيل له من اللكمات ما جعلني اقف متفرجا ومستمتعا ومصفقا لما يحدث وكانني اشاهد حلبة مصارعة كالتي نشاهدها في التلفاز...

ظل ابي يكيل اللكمات والصفعات الى ذلك الشخص والكل يشاهد مستمتعا ومتشفيا في ذلك البلطجي الذي كان بمثابة البعبع بالنسبة للمنطقة

الفلسفة التى اعتمد عليها ابي هي ان هؤلاء الاشخاص طالما اتجهوا لاستخدام السلاح فبدون السلاح... هم لاشيء وذلك ما تربى عليه اولاد البلد

بعد تلك الحادثة... تغيرت معاملة الناس في المنطقة لأبي تماما حيث زادت نظرة الاحترام والتقدير التى اصبحت مصحوبة برؤيتهم له كبطل قام بتخلصيهم من طاغية او كابوس... حيث اننا لما نعود نسمع صوتا لهؤلاء البلطجية مرة اخرى

تجرأ اهل المنطقة عليهم وازالوا قناع الخوف الذي كان

بمثابة الغمامة على اعينهم لقد كان ابي في نظر البسطاء بطل الغلابة لانه كسر ذلك الحاجز النفسي عند الناس حينما صرع احد البلطجية ارضا واستولى على سلاحه وكسر شوكته امام اعين الناظرين مهددا اياهم بقطع رقبته اذا فكر ايا منهم في القرب منه او التعدي عليه ومهددا اياهم ومتعهدا بتكرار ذلك اذا فكر احدهم في العودة مرة اخرى للاعتداء علينا او على اي شخص من اهل المنطقة كانت تلك الواقعة هي مؤشر لي فيما بعد اعتمدت عليه في رسالة الماجستير التى اعددتها فيما بعد عن مواجهة سلوك العنف والبلطجة في المناطق الشعبية... والتي كان مفادها ان توحد الغلابة في مقاومة البلطجة سيسفر يوما ما عن اندثار تلك الظاهرة كما اندثرت ظاهرة الفتونة

والشاهد في الموضوع انني عشت في المنطقة في ظل سيرة ابي

بطل الغلابة

(11)

غرفة إنعاش

كانت ليلة صعبة علينا جميعا ، وخاصة أبي وذلك حينما تم احتجاز أمي في احدى المستشفيات لإصابتها بضيق حاد في التنفس وهي المرة الأولى التي تصاب فيها أمي بتلك الأزمة وهي أيضا المرة الأولى التي أجد فيها أبي منزعجا إلى هذا الحد ويحاول جاهدا أن يبدو عليه التماسك، أفاد الأطباء بأن الحالة تحتاج إلى ملاحظة ورعاية لمدة أربع وعشرين ساعة وبعد ذلك يتم تقرير العلاج اللازم وما يلزم بعد استقرار الأمر لم يغادر أبي المستشفى، بل لم يتحرك أكثر من خمس دقائق من أمام غرفة الإنعاش وحينما تبادلنا الحديث عما يشعر به قال لي وبكل تأثر، إنه منذ وفاة أمه لم يشعر بالقلق مثل الآن ، هو الآن يشعر وكأنه طفل صغير مرضت أمه وهو لا يعلم ماذا يخبئ له القدر فلا شيء لديه إلا الترقب والصبر. كانت تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بهذا الكم من الحب من رجل تجاه امرأة، هو لم يكون يصرح لها كثيرا

بذلك، وهي كانت تشكو سرا من فقره العاطفي، لكنه وبطبيعة الحال لدى أغلبية الرجال، كان يعتقد أن أفعاله تكفي لإثبات حبه لها بغض النظر عن الكلام العاطفي كنت في التاسعة عشرة من عمري، قال لي أنت ابنتي ولن أخجل أن أقول لك إنني الآن في أشد الاحتياج إلى أن تستفيق أمك من تلك الأزمة ، أريد أن يعود الزمان بي يوما واحدا لأتدارك خطئى معها والقى على مسامعها كل ما كانت تريد ان تسمعه مني ، اريد ان اقول لها كل كلمات الحب والعواطف طالما ان ذلك سيساعدها على تجاوز تلك المحنة، ثم طرأت لي فكرة اقترحتها عليه، قلت له لماذا لا تقترب منها وتمسكي بيديها وتهمس لها مثلما نرى في الافلام العربية القديمة ، نظر الى بذهول وكأنها فكرة جديدة، وبالفعل اقترب منها وامسك بيدها وظل يحادثها ويهمس لها، ثم غلبه النوم فاسقط راسه على كف يدها ونام ، ونمت انا الاخرى من شدة التعب في مكاني ، وحينما فتحت عيني بعد فترة بسيطة من الغفوة وجدت امي قد استافقت وهي تنظر الى ابي المغمض العينين النائم برأسه على كف يدها وهي مبتسمة واشارت الي الا اتحرك من مكاني وان ابقى صامتة ، وبعد مرور تلك الأزمة ، تغير الحال تماما مع أبي الذي تحول إلى عاشق في الخمسين من عمره يكثر من الأحاديث والكلمات الرومانسية بل والغزل أيضا ، وتغيرت قناعات أمي بعد ما

رأت من الحالة التي كان عليها أبي وأيقنت أنه يحبها كما كان سابقا وان حبه لها لم ينتقص بمرور الأيام والسر في كل التغيير ذلك هو...

غرفة الإنعاش

(12)

الحريف

كنت شغوفا بكرة القدم... ورغم أنني لم أكن قد بلغت الثانية عشرة من عمري إلا أنني كنت أمتلك ثروة من المعلومات الكروية والرياضية وبعض طرق التحليل الرياضي بالشكل الذي كان يبهر الكبار ممن أتناقش معهم أو أسرد لهم معلوماتي الرياضية

ولكنني لم اكن موهوبا في ممارسة اللعبة كنت مجرد مشاهد ، الي ان طلبت من ابي ان يشركني في تدريبات البراعم بالنادي الذي يقع على اطراف الكمبوند الذي كنا نسكن فيه وبالفعل لم يمانع ابي بل رحب بذلك فلقد كانت وجهة نظره ان الرياضة في حياة الاطفال تثقل شخصياتهم و تبعدهم عن المهاترات ومخاطر المراهقة حينما يكبرون وهذا ما طبقه مع اختي الكبرى التي كانت بطلة في الرماية

المهم انني حاولت الاندماج مع الحصص التدريبية ولكنني لم اكن على تلك الدرجة من الاستيعاب السريع وسرعة التنفيذ مما جعلني استمع الى التوبيخ والصوت العالي من المدرب اضف على ذلك حالة السخرية التي كنت أسمعها من زملائي ، الامر الذي اثر كثيرا على نفسيتي وجعلني رافضا لاشياء كثيرة كنت احبها خاصة بعد ان كنا نلعب مباراة في ذلك النادي مع نادي اخر وكانت هزيمة ثقيلة ، وكنت انا احد اسباب تلك الهزيمة لانني لم اكن جيدا وطبعا استمعت اذناي الى ما لذ وطاب من التوبيخ واللوم و السخرية ،ممن حولي الامر الذي زادني احباطا جعلني اكره كرة القدم تماما ، لا اريد اي شيء منها... لا مشاهدة ولا ممارسة

شعر ابي انني ماعدت شغوفا بكرة القدم وذلك حينما دعاني لاكثر من مرة كي نشاهد بعض مباريات كرة القدم سويا ولكنني كنت رافضا لذلك وهنا... بدأ ابي في التدخل ليعرف ماذا حدث فسردت له تفاصيل ما حدث تماما فابتسم ابي وقال لا عليك... الامر بسيط... واخبرني انه سيعيدني مرة اخرى للتدريب ولكن بعد تجهيزي بواسطته هو شخصيا كنت أعلم انه يحب كرة القدم لكنني لم اكن اعلم ان لديه القدرة على اللعب او التدريب... في اليوم التالي عاد ابي مبكرا... تناولنا الغداء ثم اصطحبني الى معه واخبرني انه

سيلعب مباراة مع بعض اصدقاءه القدامي وطلب مني ان اجلس مشاهدا لتحركات اللاعبين وماذا يفعلون، واكتشفت يومها ان ابي لاعب كرة موهوب وهذا ما قاله احد الكبار لي حينما كنا جالسين خارج حدود الملعب لنشاهد المباراة قالها نصا: ابوك ده كنا بنسميه الحرييييف... ده كان مارادونا المنطقة واحنا صغيرين... بس اهتم بتعليمه ودراسته لحد ما بقى دكتور جامعة دلوقتي... لكن طبعا لسه بيحب الكورة ، في صباح اليوم التالي ذهبنا معا الى النادي واخذنا معنا كرة القدم الخاصة بنا وكرة تنس صغيرة وبدا ابي في تدريبي على التحكم في كرة التنس ثم التحكم في الكرة الكبيرة ثم الجري بالكرة فالمراوغة فالتسديد ثم .. ثم... ثم... ، العديد والعديد من المهارات البدنية والفنية علمها لي ابي خلال اسبوعين كاملين قضيتها في تدريب مكثف مع الحريف الى ان اصبحت جاهزا بشكل نفسي وبدني ومهاري يسمح لي بالعودة الي التدريبات مرة اخرى دون الخجل او الاعتناء لما يقال او يثار حولي وكانت النتائج باهرة... تدرجت في فرق قطاعات الناشئين المختلفة حتى اصبحت لاعبا في الفريق الاول وطالبا ناجحا في كلية التربية الرياضية ثم استاذا جامعيا فيها لأعيد تطبيق ما تعلمته من ابي الحريف مع من اقوم بتدريبهم... وهو من وقت لاخر يشاهدني ويتابعني فرحا بما احققه ، و بعد اعوام واعوام ومع تقدم علم التدريب ، قررت انشاء مشروع

اكاديمية تدريب رياضية للبراعم والناشئين وعقدت اتفاقا مع ابي على ادارتها رخاصة وانه قد بلغ سن المعاش ، وبالفعل كان في قمة سعادته ان يصبح الرئيس التنفيذي لاكاديمية رياضية اسميتها

الحريف

(13)
فرصة ثانية
المدمن ابن المدمن

الكل مخطئ... ولكن لنبحث في المخطئين عن الذي يستحق الفرصة الثانية

كانت تلك هي كلمات زوجي قبل أن يغادر البيت غاضبا من رد فعلي وأسلوبي معه في الحديث عن ابني الصغير الذي كان مدمنا للمخدرات ذلك الابن... ابن الذوات... ذو الثامنة عشرة من عمره والذي كنت أعتبره كما يقولون الفرع الفاسد في شجرة العائلة الراقية...

حاولت بشتى الطرق معه اثناء سفر والده الطبيب المشهور والمعروف بنجاحه وشطارته... حاولت جاهدة ان اثنيه واعيده الى صوابه بعيدا عن ذلك الطريق ولكنني لم افلح كما لم افلح في تربيته حقا لأن يكون رجلا تلك هي الحقيقة التي

يجب ان اواجه نفسي بها قبل ان يواجهني بها احد وخاصة زوجي ، الذي لن يواجهني بذلك... ليس حرص على مشاعري بل لانه منذ سنوات لم يعد يهتم بتوجيه أي نصح او ارشاد لي لانه ايقن تماما انني لن أنصاع اليه ولن أقتنع... لانني وببساطة وكما يقول اري كل الناس وكل الاشياء وكل الامور... من فوق

كانت تلك الازمة هي بمثابة الطامة التي كانت لا بد وان تحدث حتى استفيق وادرك انني لست دائما لى صواب ولست دائما على حق وان تلك النظرة التي انظر بها الى الحياة لابد وان تتغير

خاصة الي اقرب الناس

اعترف بانني كنت مخطئة في حرصي الشديد على من هم حولي وتصميمي واصراري على ان اقحم افكاري وجهة نظري وافكاري التي جلبتها معي من مختلف الاماكن التي مررت بها في حياتي لاطبقها حرفيا على بناتي وابنائي منهم من تقبل ذلك... ومنهم من هرب

تحت مسمى المستقبل والدراسة ومنهم ، من لم يتحمل ذلك الضغط والقيد ، وهرب الى الادمان

انه ابني الصغير... اخر العنقود... حبة اللؤلؤ

الذي كسرت شخصيته بقوة شخصيتي في غياب ابيه... وفي حضوره ايضا ابنى الذي ما كان في اهتماماتي الا ان يدرس في المدارس الدولية والجامعات الخاصة الكبرى حتى يظل في نفس الوسط الاجتماعي القائم على المظهرية والتفاخر... وتركت اهم شيء لم استطع ادخاله الى قلبه... التقوى والقرب من الله ومراعاة الله قبل مراعاة الرقيب

كانت (حاضر)... هي ما احب سماعها منه... بل منهم جميعا... لا مناقشات... لا تذمر... الرفض غير موجود في قاموس التربية الخاص بي... اشبه في ذلك امي... التى قامت بتربيتي انا واختاي... بعد وفاة ابي حاولت استنساخ تجربة المرأة الحديدة ونسيت ان لي زوجا

نسيت ان له دورا تجاه ابناءه... بل بتصرفاتي على مدار السنوات... منعته من اداء ذلك الدور... فالتفت هو الى عمله ونجاحاته الطبية تاركا كل ما يخص البيت... لي... وليته ما فعل ذلك فلقد استيقظت على كارثة لم تكن في الحسبان ابني اصبح مدمنا سارقا متعاطيا للمخدرات هنا... لجأت إلى زوجي وكان في مؤتمر طبي في امريكا واخبرته بتلك الكارثة... قطع سفره وعاد... وكان هادئا... طلبت منه ان

يخبرني ماذا أفعل قال هذا ليس دورك... انه دوري انا

هذا ابني وانا من سيتولى هذا الامر

وحينما استرسلت في الصياح والصوت العالي كعادتي معه...

نظر الي بكل قوة... نظرة ايقظت بداخلي ذلك الاحساس الذي كنت قد تناسيته منذ زمن...

انه رجل البيت... اخبرني انه ترك البيت و الاولاد لي ولكنني لم افلح في معالجة قضاياهم ومشاكلهم وان علي الآن ترك الامر له ،تركت الامر له... وبالفعل كان قد رتب كل شيء لايداع ابني في مصحة لعلاج الادمان حتى يتعافى ابني من تلك الازمة وقد رتب زوجي نفسه للبقاء مع ابنه في المصحة كمرافق ، ترك كل شيء... كل شيء في حياته ومكث بجوار ابنه حتى تجاوز تلك الفترة العصيبة وعاد الابن سالما من تلك المعركة

وحينما سألت ابني عن اباه... اخبرني بشيء لم اكن اعلم عنه ابدا

لقد مر زوجي بتلك التجربة نتيجة صدمته بعد وفاة امه في

نفس تلك الفترة العمرية...

لذلك اتخذ القرار بالمكوث بجوار ابنه وعدم تركه الا بعد التعافي قال لي ابني بعد تجاوز الازمة : الازمات تصنع الرجال يا امي، وأنت بطريقة تربيتك لي صنعتي لي ازمة اوقعتني في ازمة اخطر... واما ابي فلقد كان طبيبا وصديقا وبحارا ماهرا... ساعدني على تجاوز تلك الازمة، ابي الذي تواصل معي نفسيا ولم يتأخر ولم يخجل ابدا ان يقولها لي انه وقعا في نفس الازمة قديما ولكنه تعافى... تعافى وقرر مساعدة اي شخص يحتاج الى المساعدة على تجاوز تلك الازمة

كان كل ما يشغله في تلك الاثناء ان يتعافى ابنه من ذلك الداء وبعد ان عاد كل شيء الى طبيعته... توجه زوجي نحوي بهدوئه المعتاد قائلا: ارجو منك ان تحتوي ابناءك فهم في حاجة اليك... ارجو ان تغفري لكل من اخطأ فيهم... فكلنا نخطيء

ارجو الا تنظري الى ابنك ابدا على أنه

المدمن ابن المدمن... بل عامليه على أنه بطل فلقد مر بتجربة لا ينجو منها الكثير... فقط اعطه فرصة ثانية كانت تلك هي المرة الاولى التي اكون فيها بهذا الهدوء النفسي بعد تلك العاصفة قلت له: فقط امنحني انت الفرصة الثانية لأتغير

معكم جميعا

ان ابنك بطل ابن بطل... اعدك بأن كل شيء سيتغير

انها الفرصة الثانية يا سادة ، ان يسخر اللّه لك احد الناس ليساعدك في تجاوز ازمة او محنة تعصف بك وتظن انك بلا مرفأ او طوق نجاة منها

انها الفرصة الثانية ، ان يرسل اللّه رسائله في الازمات والمواقف لتغير من نفسك لما هو احسن تحقيقا لمعادلة اللّه التي سخر الكون من اجل

تكريم ابن ادم

(14)
أزمة عاطفية

لن تكون تلك هي التجربة الأخيرة يا صغيرتي ولكن عليك أن تتعلمي منها

أحببت شابا يكبرني بسبعة أعوام... وكنت ما زلت في السنة الأولى من الجامعة كنت مبهورة به وبوسامته وأسلوبه في الحديث ، كان (يوتيوبر) صانع ومقدم محتوى على الإنترنت ولم أهتم بالمحتوى بل اهتممت به هو شخصيا... كان في منتصف خطوات الشهرة

ارتبطت به... وبدأ الكلام وتعددت اللقاءات بيننا لفترة ثم حدث ما لم أكن أتوقعه...قام تصويري أنا وبعض أصدقائه وصديقاته في رحلة ما بث حي (لايف) والأمر كان عاديا إلى أن قام بتركيز عدسة الكاميرا علي وقال وأما هذى فهي حبيبة قلبي... زوجتي وأم أولادي

هنا شعرت بخفقة في قلبي وأحمر وجهي ليس خجلا بل صدمة لم أكن متوقعة أن تصل به الجرأة والاستهتار إلى هذا الحد توقعت أن تكون هناك مصيبة كبرى في البيت في الأيام القادمة خاصة من أبي

مرت الأيام وأنا أترقب رد الفعل... إلى أن حدث رد الفعل الذي كان على غير المتوقع طلب أبي أن يتحدث معي على انفراد وبالفعل شاهدت الفيديو معه... وقال لي كنت أتمنى أن تخبريني أنت بدلًا من أن أعرف من السوشيال ميديا وقرر عدم ذهابي إلى الجامعة حتى لا أقابله ومكثت في البيت تحت رقابته دون أذى أو ضرر نفسي ولقد كانت فترة صعبة أن امتثل لأمر أبي حتى أستطيع التعافي نفسيا من تلك الصدمة سواء التعلق بذلك الشخص أو المفاجأة بأنني كنت تسلية له

كان هادئا... لكنني أعرف هدوء ما يسبق العاصفة عند أبي ، تواصل معي ذلك الشاب واستفسر عن سبب غيابي فأخبرته بحجم الكارثة التى اوقعني فيها فأخبرني انه على استعداد لمقابلة والدي فرجعت بالامر الي ابي مرة اخرى ، و طلب مني أبي وبكل هدوء أن أحادث ذلك الشاب وأطلب منه الحضور إلى البيت ليلتقي أبي بما أنه قرر أن أكون أما لأولاده على السوشيال ميديا ... دون الرجوع إلى أبي

وبالفعل... حضر (اليوتيوبر) إلى المنزل وقابل أبي وتحدث

أبي إليه عما يخطط له فوجده لا خطط لديه ولا فكر ولا محتوى ولا شيء... لا شيء وكانت المفاجأة بالنسبة لي أن الأخ اليوتيوبر كان يتسلى فما كان من أبي إلا أن تعامل معه بنفس الطريقة وقام بفتح البث الحي على صفحته الشخصية على الفيسبوك وبث فيديو مباشر له وللعريس المنتظر محذرا بنات الناس منه وممن يشبهونه من أشباه الرجال... فكانت فضيحة على الإنترنت لأخينا... وكان أقوى ردا لكرامتي من أبي بلا عنف... بلا بلطجة... وبلا أي شائبة تعيبني

ثم طرده خارج المنزل قائلا له :

أرجو أن تتعلم الدرس قبل أن يرد إليك في أختك أو بنتك

ثم عاد إلى بكل هدوء مبتسم وقائل: لما تحبئ تتجوزي ابقي قوليلي وأنا أساعدك تختاري راجل درجة اولى ... الرجالة برضه درجات

ثم ابتسم واحتضنني

إنه الأب يا سادة...

الأب الذي أعادني إليه مرة أخرى وأعاد إلى حقي وكرامتي... إنه بحق

أول راجل

(15)

حادثة عربية

كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكنت أجلس بجوار ابي في سيارته وهو يقود، وامي واختى الصغيرة في غفوة على طريق الساحل الشمالي، وبينما ابي في قمة تركيزه على الطريق واذا بسيارة مقابلة على الطريق الآخر ينفجر منها اطارها وينطلق كما السهم المجنون غير معلوم الوجهة، تحرك الاطار الى الجهة المقابلة أي التي نحن فيها وقدرا أقترب ليصطدم بنا مباشرة، في ثوان بسيطة كان ابي ملتفا بجسده نحوي دافع اياي ودافعا امي في الخلف حتى لا نصطدم داخل السيارة، وهو ماسبب له كسر في العمود الفقري كانت نتيجته انه اصبح قعيدا على كرسي متحرك، الآن هو لايستطيع الخروج الا بالكرسي المتحرك وبواسطة مرافق، بعد ان كان مدير للانتاج باحدى الشركات الكبرى

ومتوقع له مستقبلا ابعد من ذلك، لكن قدر الله وماشاء فعل، اتذكر انه في تلك الفترة كان هادئا مطمئنا وهو ما بعث في نفسي امي الهدوء، كان دائما ما يجيب على نظراتها الحائرة الخائفة قائلا: كده احسن ولا كنا نموت كلنا؟؟ ، قرر ابي وبتخطيطه المسبق الرائع الهاديء كعادته ان يصبر على نفسه حتى تنتهى الثلاثة اشهر الاولى في فترة العلاج ومايلزم ثم يتخذ قرارا بشأن ما سيدور بعد ذلك، وبالفعل اتصل ابي بأحد زملائه في العمل وطلب منه تجهيز الجراج ليصبح مصنعا منزليا يعينه على الابتكار والتطوير في المواتير والماكينات التى كان يعمل بها في المصنع، والحقيقة انه لم يكن لديه من السيولة ما يكفي لذلك ولم يكن ليقبل اي اعانة من اي احد حتى امي التى طلبت منه ان تقوم ببيع مصاغها فرفض، وقام باعداد دراسة جدوى منظمة وتقدم بها الى احد البنوك للحصول على قرض بضمان المشروع وكان له ما اراد، سنوات وسنوات وهو في الجراج الذي تحول الى ورشة صغيرة ثم مصنعا صغيرا ثم استخدم الحديقة كمكتب يقابل فيه العملاء، كل هذا وهو لم ينسى ابدا ان يشركنا معه في كل شيء... البيت بالكامل في خلال سنة كان يعمل معه وتحت استشارته، استطاع ابي بعد فضل الله ونعمته ان ينتقل بنا نقلة في المستوى المعيشى والفكري والنفسي الى ابعد مما كان سابقا، اصبحنا ابناء رجل اعمال وليس موظف بدرجة

كبيرة في شركة كبرى، تعلمنا لغة (البيزنس) على يديه، تعلمنا اشياءا قد تستغرق سنوات وسنوات في الحياة العملية اختصرها هو في ثلاث سنوات... وما زال يعلمنا

ولكن اكبر درس تعلمناه من ابي المقعد الذى ضحى بنفسه حتى يفدي اسرته...

ان المعاناة تولد النبوغ، وانه طالما ان الله اراد قضاءا... ففي قضائه... الف رحمة

الفهرس

لم يكن مجرد أب.... بل كان وطنا 7

الطير المهاجر 13

أربعون عاما ... في الغربة 13

السند 19

(البارالمبية) 19

ربما كان في الأمر خيرا ونحن لا نعلم 19

الـعـواد 23

حفار القبور.....27

صاحبي يا صاحبي 31

ولعلك يا صاحبي تدرك في يوم من الأيام...
إنها سحابة صيف وستزول 31

وسلاما على الراحلين بأجسادهم ... الحاضرين برسائلهم.....37
شقاوة قديمة 39
ليلة رمضان.....43
بطل الغلابة 47
غرفة إنعاش 51
الحريف 55
فرصة ثانية.....59
المدمن ابن المدمن 59
أزمة عاطفية 65
حادثة عربية.....69

الأب لا يموت ...

ترحل الأجساد وتغيب الشخصيات... لكن الأثر باق

تطول السافات وتمر السنين... لكن المواقف لا تنسى

ومهما كانت الأخطاء والسلبيات والتعليقات

سيبقى بداخل كل منا ذكريات جميدة لا يمكن أن

تمحيها الأيام

وربما... نتناسى كل ما كان قاسيا من ذكريات لأجل

تلك اللحظات الطيبة التي عشناها ونتمناها أن تعود...

ولو حتى مجاز

ستظل في مخيلة الكل ... أحلى الأوقات

إحدى تلك الحقائق التي لا يمكن أبدا أبدا نسيانها أو

إخفاؤها

أنه وبرغم كل شيء... وبرغم أي شيء

سيبقى الأب في حياة كل منا ... الكل وبلا استثناء

أول راجل

تصميم الغلاف: نجلاء محمد